مقابلة أدبية مع : الدكتور حسين فوزي

تقديم : فاروق شوشة

السؤال الاول :

في واجهة كتابكم « سندباد عصري » تطالعنا هذه الكلمات :

« درجت على حب الغرب والايمان بحضارة الغرب .. وقضيت أهم أدوار التكوين من عمري في أوربا .. فلما ذهبت الى الشرق .. عدت الى بلادي وقد استحال الحب والاعجاب ايمانا بكل ما هو غربي .. »

ونحن لا نجد داعية لحضارة الغرب في بلادنا كما نجدك في هذه الكلمات .. ما رأيكم ؟

الاجابة :

اعترف لك بانك لمست النقطة الحساسة والهامة في كتاب سندباد عصري .. غير أن كلمة « داعية » تصورني واقفا وسط الناس أدعو للحضارة الغربية . مع أن المسألة لا تعدو أن تكون اخلاص هذا الشاب (الذي تحدث عنه الكتاب) للمبادىء التي نشأت عليها ، أي التماس كل ما في الحضارة الغربية من خير لينتفع به الوطن المغلوب على أمره ، الوطن الذي ولدنا فيه .. فلقد ولدنا في عهد الاحتلال ..

ثم سافر ذلك الشاب ـ ضمن أسفاره ـ الى بلاد حول المحيط الهندي ، ترزح كلها تحت نير الاستعمار ، فوجدها لا تواجه الاستعمار بأسلحته الحضارية ، بل تهيم وتسدر في غيبياتها وغيبوبتها ، وتعيش في ماضيها عيشة الحالمين ، فزاد ذلك من ايمانه بضرورة الحضارة الغربية لكل تلك الشعوب ، ولم يعتور ايماني ضعف ، حتى وأنا أرى هذه الحضارة تهددها الفاشية والنازية وتكاد تتردى بها الى هاوية الفناء والعدم .

وأنا أسألك .. ما هذه الحضارة التي تريد أن نعتمد عليها اليوم لننهض ببلادنا وتتبوأ مكانها بين أمم العالم ..

هل نعود الى الوراء .. أم نعيش في زماننا ؟

وأنا أحب أن نتفق على « فهم » لهذه الحضارة الغربية ، أغلب الناس القانعين بالحياة الروحية في الشرق ، لا يرون في حضارة الغرب الا صورتها المادية ، لا يرون منها الا الاسمنت المسلح، الراديو، الثلاجات، التليفزيون ، مع ان الحضارة الغربية في أساسها فكر وفن وفلسفة وعلم ..

وهذا ما يعنيني من الحضارات .. ونتاج الحضارة يعتمد على كل ذلك .. فمن الخطأ ان نأخذ انتاج الحضارة دون أن نتشرب أساسها ، وسمة الحضارة الغربية ان العقل فيها مطلق .. هذه السمة أفضل تسميتها « بالتفكير الحر .. » وهو عندي شيء آخر أعظم وأعمق مما يسمى « حرية التفكير » .. لان حرية الفكر لها علاقة بالوضع السياسي والاجتماعي ، لها حدودها ، ولا يمكن اذن ان تكون مطلقة .. بل لا بد لها من حدود سياسية واجتماعية تقليدية .. لكن التفكير الحر صفة في الذهن .. لا تعوقه العوائق ، ويظل يناقش ويناقش ، وحين يبلغ ما يبلغه ، فنتيجة للحرية وليس للتقاليد .. ووجود هذا التفكير الحر في أي حضارة ، أداة غربية ساحرة حقا .. أداة اصلاح ودعوة الى الطريق السوي ..

وأفضل أن أشير هنا ـ في مقام التوضيح ـ الى هذه الفقرة من كتاب « سندباد عصري » نفس الكتاب الذي اخترت أنت منه الفقرة السابقة .. تقول هذه السطور :

« ولست أزعم بأن الحضارة الاوروبية بلغت الغاية التي نادى بها الفلاسفة المصلحون . فليس لهؤلاء مع الاسف سلاح غير العقيدة الرأي الحر ، بينما يسطو الرجال العمليون على نتاج قرائحهم فيسخرونه لاغراضهم . خذ فكرة الاستعمار من ناحية التفكير المطلق (كلمة عمار) : النهوض بالشعوب الفطرية الى مستوى الانسانية المتحضرة ، واشراك هذه الشعوب في موكب البشرية الرائع ، يتجه الى الخير العام في ظل السلام الدائم ، ثم تأمل عمل الشطار الذين تقنعوا بقناعها ، واستظلوا برايتها ، ثم راحوا يقتلون وينهبون باسم الحضارة. كلا ، لست أقول بأن الحضارة الاوروبية بلغت المثل العليا التي نادى بها الفلاسفة والمصلحون. ولكني أعجب اعجابا بظاهرة واحدة في هذه الحضارة : التفكير الحر . فهو الصمام الدائم : تملك به الحضارة إصلاح ذاتها بذاتها . قارن بين أوروبا منذ صيحات « جان هوس » و « كلفن » و « لوثر » واكتشافات « جاليليو » و « كوبرنيكوس » وتفكير « ايراسم » و « بيكون » .. وبين الهند منذ فجر تاريخها الهندوسي وهو أقدم من حضارة اليونان . ففي أوروبا خرج الفرد يبحث عن الحقيقة والجمال حتى وجد شجرة المعرفة فأكل منها . وعرف الخير والشر فدونه في الانسيكلوبيديا . وتكشف لعينيه جور الحكام وبقية من الضغط الديني ، فناقش سياسة الحكم بلسان « مونتسكيو » و « روسو » و « فولتير » ، ثم قام يهدم الباستيل بيد الشعب ، وينادي بنهاية الملكية المطلقة بلسان «دانتون» واليعقوبيين. وكان يسعى طول هذه الاجيال بفكر علمائه نحو تسخير الطبيعة . فكانت قوى البخار والكهرباء والمغناطيسية والاشعاعات . وكان البترول في البر والبحر والهواء . واذ شعر بعدوان السلطة الجديدة استحوذت على كل هذه القوى برأس المال ، ثار عليها بلسان « كارل ماركس » .

ذلك هو مجمل تاريخ الحضارة الاوروبية منذ نهاية القرون الوسطى حتى آخر القرن التاسع عشر ..

ومهما كانت الاخطاء التي ارتكبت فان فضيلة هذه الحضارة في انها تملك اداة اصلاح ذاتية هي : « التفكير الحر .. »

فهو اذن ايمان حقيقي بمقومات هذه الحضارة ..

ونقطة أخرى خطيرة وهامة .. هي أن هذه الحضارة ملكنا كما هي ملك الاوروبيين او الغربيين بصفة عامة ... وهل ننسى نحن الدور الذي كان لنا في تكوين هذه الحضارة ؟

انني سأضع بين يديك ـ وفي الواجهة المقابلة ـ هذه الفقرة من كتابي « سندباد الى الغرب » :

« وأخيرا ، آمل أن نمحو من أذهان النشء هذه المقابلات العقيمة بين الشرق والغرب . وأرجو ألا يؤخذ بكلمة الاستعماري كبلنج ، في قصيدة « الشرق شرق .. » الى اخر هذا الهراء الشعري ..

فليس غير الانسانية ، وليس ثمة الا عالم واحد . والفكر الانساني يتنقل في الزمان والمكان تبعا لظروف عدة يعني أساتذة التاريخ الحضارات بتقصي اصولها وفروعها . ولكل شعب ذي ماض في الحضارة أن يفخر بحضارته ويعتز بها . وأهم من الفخر والاعتزاز أن يدرسها ويفهمها ، لا كظاهرة منفصلة ، بل كوجه من وجوه ذلك الجوهر الفرد : الفكر والمشاعر الانسانية ..

فحياة الامم ليست رهينة بهذه المطارحات الجديرة بمناظرات الطلبة للتمرن على حسن المحاضرة والمناقشة ، وانما تحيا الامم بالعلم والمعرفة ، والفن والادب ، من أي ركن يأتينا الفن والعلم . كما جاء في كلمات الرسول الخالدة : اطلبوا العلم ولو في الصين ، اي على بعد الشقة ، واختلاف اللغة والعقائد وطرائق الحياة ..

ونحن المصريين أحق الناس بدراسة الحضارات ، لاننا أثبتهم حقا في تراث الانسانية العظيم الذي تواضع الناس على تسميته « الحضارة الغربية » ، لا لانها حضارة اختص بها الغرب ، بل لانها في التسلسل التاريخي للحضارات نمت وترعرعت أخيرا في غرب أوروبا ، بعد أن تشربت وتمثلت تيارات الحضارة من طيبة وممفيس وصور وصيدا وأثينا والاسكندرية وروما وبيزنطة وبغداد ودمشق والقاهرة ..

فلست أفهم أننا نحن المصريين بالذات نطارح أوروبا فضل الشرق على الغرب ـ والغرب آخر من ينكر هذا الفضل ـ فنذهب في المناظرة الى الانتقاص من الحضارة الغربية بحجة ماديتها . ثم نسدل ستارا أسود على تاريخنا المجيد كله ، ما عدا حقبة واحدة من هذا التاريخ ، كأننا في حاجة الى هذا الستار لنؤكد الجوانب الروحية ، وهي موجودة على مدى تاريخنا من مدرسة هليوبوليس الى مدرسة الاسكندرية الى الازهر الشريف .

وحضارة اليوم هي حقي وملكي ، بقدر ما هي حق لبعض الاوروبيين ، لانني أنا المصري من كبار بنائيها . فكيف أنكر نفسي وتاريخي وجهاد فلاسفتي وعلمائي والمفكرين من أجدادهم وضيوفهم على مدى آلاف السنين ، لاقف من حضارة اليوم هذا الموقف السلبي ، وهي من غرس يدي وفكري ومشاعري ، بأكثر مما هي من غرس الصقلبي أو الاسكندنافي .. ؟

فكيف أجيء لاقف منها اليوم هذا الموقف ؟ ..

السؤال الثاني :

لقد آثرنا أن نبدأ الحديث مستعينين بكتابكم « سندباد عصري » ، على حين أن كتابكم « حديث السندباد القديم » تصوير لعهد من أجمل عهود الانسانية فيما حققته الحضارة ..

وهذه اللفتة العميقة الى حياتنا العربية ـ وسط ايمانك وتحمسك لكل ما هو غربي .. شيء يدعو الى التساؤل ...

الاجابة :

الواقع ان نظرتي للحياة والحضارات ، تقوم على انني اعتبر الحضارات كلها ملكا للانسانية ، فعندما الفت كتاب « حديث السندباد القديم » مصورا فيه الرحلات العربية وادب الرحلات وقصصها لم يكن ذلك لمجرد الرد او لمجرد الدفاع ، ولكن في البحث الحضاري يوجد دائما ما هو خليق بالبحث والدراسة ..

ولقد ربيت على الادب العربي ونشأت فيه ورضعته مع طفولتي ، ولما كبرت وجدت ان هناك في تراثنا ما هو اكثر اهمية وخطورة من ادبنا العربي وفنونه .. من الشعر والنثر .. وجدت لدى العرب الطب والملاحة والجغرافيا والتاريخ والكيمياء والرياضيات والفلك .. اشياء لم اقرأها في شبابي . ولكني التقيت بها في مرحلة النضج والبلوغ ..

واهتمامي بالبحر ـ وهو موضوع تخصصي ـ جعلني ابحث وانقب في كتب السندباد ، ثم اهتممت بقصص الرحلات العربية وادب الرحلات والقصة البحرية في الادب العربي .. فعندما انادي بحضارة الابن لا انكر اذن حضارة الاباء والاجداد ..

وكتابي الجديد « سندباد مصري » عبارة عن رحلة في الزمان وليست في المكان .. رحلة في تاريخ مصر .. يتناول الـ ٦٠٠٠ سنة من تاريخ مصر ولقد سميته جولات في رحاب التاريخ المصري... هذا فضلا عن ان الانسان يجب ان يحس دائما ويعيش فيما عند غيره من الوان وصنوف مختلفة ..

السؤال الثالث :

ـ على ذكر كلمة « سندباد » التي تكررت كثيرا في حديثكم ، والتي التزمتموها في كل عناوين كتبكم : المتتبع للمعالم الرئيسية في حياتكم وانتاجكم يحس على الفور انك سندباد هذا العصر في بلادنا .. تحمل في اعماقك لوعة السندباد القديم ومأساته وتشوقه .. هو في رحلاته السبع وانت في رحلاتك العشر ..

الى اي مدى يصدق هذا الاحساس في ظنكم .. ؟

الاجابة :

الواقع ان احساسك وحدسك في هذا عميق . فقد توصلت الى مفتاح الحياة التي تحاول دراستها الان .. والتي هي « أنا » .. وعجيب مثل هذه الاحاديث انها تدور حول الانسان ، الانسان في تكوينه في نشأته ، في تربيته والعوامل التي تتحكم فيه وتوجهه .. وانا اعتقد ان الانسان مسير لا مخير ..

فهل كانت اذن صدفة من الصدف انه حين كنت طالبا في المدارس ، كنت اغرق نفسي فيما كان يسمى بالنشاط الحر ، وكان وقتها حرا غير ملزم .. فانضممت لجمعية الرحلات ، وكانت الرحلات والجغرافيا شيئا واحدا .. وفي الرابعة عشرة انضممت لجمعية الرسم (بالفحم والالوان المائية) والتصوير الفوتوغرافي ثم التمثيل ـ ولم تكن هناك للاسف جمعية للموسيقى ..

وكانت رحلاتنا تدور حول القاهرة ومعالمها .. جبل المقطم ، المساجد والكنائس الاثرية ، اهرام سقارة ، آثار الاقصر ، وكان اساتذتنا يصطحبوننا .. ويوصون بان نسجل هذه الرحلات كتابة ..

ونما حبي للرحلات ، وحرصي على تسجيل الرحلات ..

ولكن المسألة ليست فقط مسألة رحلات . انها اولا وقبل كل شيء مسألة فكر .. وانا لم اقم برحلة من الرحلات الا مدفوعا دفعا ، فلا تعتقد انني رحالة بالسليقة ، وانما كل رحلة قمت بها ، كنت فيها مدفوعا بواجب معين ..

فالتوق الى المعرفة ، والرغبة في الاستزادة منها ، هو المسئول عن كل ذلك ... ذلك ان موضوع دراستي الوحيد والحقيقي هو الانسان بكل مظاهره : في التاريخ ، في الفن ، في الرحلات .. الخ .. ورحلاتي هي رحلة واحدة حول الانسان من الطب ، للعلوم ، للموسيقى ، للفنون . وانا في جميعها ادور حول نفسي ..

وهذا هو الذي جعلني التزم عنوان « السندباد » لكل كتبي . وربما لان الكتاب الاول كان خاصا برحلة للمحيط الهندي وبعض المناطق المحيطة به .. اعطتني جو « السندباد ... » وكنت اعتقد ان الامر مجرد قصة او خرافة .. ولكن لا .. لن استطرد الان .. حسبي ان اشير ـ مرة اخرى ـ الى مقدمة « حديث السندباد القديم »:

« كنت واقفا بظهر تلك السفينة العلمية ذات يوم من ايام نوفمبر عام ١٩٣٣ .. اتطلع الى شاطيء صخري .. وجبال مقطبة الاسارير ... شبيهة بالكثير غيرها مما رأينا على هذا الشاطيء الجنوبي لشبه جزيرة العرب . وكانت السفينة تتجه الى جونة وسط تلك الجبال ، لتلقي بمراسيها امام الجزيرة الوحيدة المسكونة من مجموعة جزائر « خوريا موريا » .. فرأيت خلال المنظار شيخا واقفا الى جوار راية حمراء ... ظهر فيما بعد انها شال عمامته ربطه الى عكازه . وكان الرجل شيخ جزيرة « الحلانية » . وتعداد سكانها اربعون نفسا ..

لم اعرف لماذا هتف في نفسي هاتف تلك اللحظة بكلمة « السندباد » .

وهو اسم نثر بسحره موكبا من ذكريات الطفولة والمراهقة . وجعلت الكلمة والموكب يرتفعان من اطباق الشعور السفلىء الى نطاق اكثر نبلها ، والسفينة تقترب من شاطيء جزيرة « الحلانية » حتى لبست كلمة « السندباد » صورة الشيخ الواقف الى شال عمامته . كما تلتقي الصورة المزدوجة للمرئيات ، في اجهزة التصوير الدقيقة ، علامة على ان العدسات اتخذت موضعها الذي يسمح بتصوير واضح المعالم والحدود .

وتابعت تلك السفينة العلمية رحلتها في البحر العربي الى خليج عمان . ثم انحدرت الى كراتشي ميناء السند . وعادت تذرع المحيط الهندي غربا وشرقا ، وجنوبا وشمالا . فلم يمكن لي عملي على ظهر

السفينه من ان افكر في امر العلاقة بين شيخ الحلالية والسندباد البحري باكثر من انني تصورت الرحالة العربي الخيالي واقفا بشاطيء جزيرة قفراء ، بعد حادث من حوادث اسفاره ، يلوح لمركب عابر بشال عمامته . كما كان يلوح ذلك الشيخ لنا ...

ولكني بعد عودتي الى مصر في سنة ١٩٢٤ احسست باني سلكت البحار التي ركبها السندباد في سفراته المشهورة . وكان احساسا غريبا . لانني في ذلك الوقت ، وقبل ان اعرف من امر اسفار السندباد ما عرفت ، لم يكن في ذهني منه الا انه بطل قصة مغامرات بحرية ، تبدو فيها دواب البحر للسفار جزائر ، وتخرج عليهم من الاعماق خيول بحر اعرافها على الارض ، وحيات تبتلع الافيال ، ومن السماء طيور تحجب وجه الشمس ، وتحمل الناس في مخاليبها ..

ومع ذلك قدرت بعد ايابي من رحلتي الهندية ان احساسي فيما يتعلق بالسندباد جدير بالعناية والفحص . فاعدت مطالعة قصته بعيون تفتحت على ارجاء بحر الهند . ورايت ان القصة لا بد تخفي في ثناياها معارف ايجابية تواردت على السنة الرحالين العرب . وكنت اعرف من تاريخ الاكتشافات البحرية ان لهؤلاء فضلا كبيرا على الملاحة في البحار الشرقية ابان القرون الوسطى .. كما خرجت من مطالعات عابرة في كتابي « عجائب المخلوقات » للقزويني ، و « مروج الذهب » للمسعودي بان ثمة معارف بحرية في كتب العرب جديرة بالمراجعة على اساس ما حققه علم البحار .. »

لقد خالجتني هذه الاحاسيس المفعمة كلها وانا في خليج عمان امام شاطيء حضرموت ، وفي خليج عدن ، خصوصا في مدخل البحر العربي ، وبدأت انقب وابحث ، حتى اكتشفت ان الامر ليس قصة ولا خرافه ، وانما هي كتابات كتبها رجل درس وتمرس وطالع كل كتب الجغرافية العربية ، ثم كتب كل هذه القصص والحكايات والاساطير ..

السؤال الرابع :

بمناسبة حديثنا عن القصص والحكايات .. لقد حاول الاستاذ يحيى حقي في كتابه « فجر القصة المصرية » ان يلقي كثيرا من الضوء على طبيعة هذه الفترة التي عايشتموها بوصفكم واحدا من رواد القصة في بلادنا الى جوار لا شين وتيمور وطليمات واخرين ..

وهذه فرصة طيبة نستمع فيها الى انطباعاتكم عن هذه المرحلة والى قصتكم مع القصة ..

الاجابة :

يحيى حقي صور هذه الفترة تصويرا طيبا جدا . بل ان كتابه « فجر القصة المصرية » واحد من الكتب الممتازة في ايامنا ..

كنا وقتها جميعا شبانا في المدارس العالية ، لم نتخرج بعد ... جمعتنا جامعة حب الاطلاع والقراءة والادب والمناقشات .. وبدأنا ندرس الادب العربي ... ونتفهمه .. ثم تعديناه الى الاداب الاجنبية ..

ولم نكن نقلد الاجانب .. ماذا كان يفعل الجيل الذي قبلنا؟.. كان اباؤنا يدرسون ويتفهمون .. فاذا شاءوا كتابة الشعر كانوا يقلدون البارودي وهكذا .. ونحن ايضا فعلنا ما فعله الاباء مع اختلاف كل جيل عن الاخر .. وانتم ايضا تقفون من الاجيال التي سبقتكم نفس الموقف .. لقد كانت مهمتنا توسيع ادابنا ومعارفنا .. ومن هنا بدأنا في وضع القصص ..

فهذه النشأة صحيحة ... واذكر انني التقيت بالاستاذ محمود تيمور منذ وقت قريب فقال لي : ٤٠ سنة .. قلت له : ١٤ سنة ... فحسبناها سويا . فاذا هي فعلا اربعون عاما .. وكان وقتها محمود تيمور واخوه محمد وطاهر لاشين وطليمات واخرون يعملون على خلق القصة المصرية ..

اما مجهودي فيها فضئيل وميتسر ..

حتى قصتي « السبع الحلاوة » التي حدثك عنها الاستاذ يحيى حقي فعبارة عن انطباعات شخصية ، لم اخلق من راسي ، ليس عندي قدرة الخيال المحلق ولا قدرة الحبكة والتفنن ..

سبع حلاوة .. اشتروه لي من المولد ، واحببته جدا .. واستبقيته حتى اكله النمل ، فقالوا لي في البيت : مستحيل بقاؤه ... والقصة تحكي مشاعري وعلاقتي بهذا السبع .. حتى قصة « العنبر رقم ».. كنت « نوبتجيا » وانا طالب في مدرسة الطب .. وبين المرضى شابة غريبة رقيقة الحال مريضة بالقلب .. ونعلم جميعا انها ستموت ... وكانت ليلة العيد وهي بعيدة عن اهلها .. وهي في انتظار الموت .. غريبة .. عليلة .. تاعسة ... فكتبت خواطري عن هذه الغريبة التي تنتظر الموت ليلة العيد !

لكن هذا لا يصنع قصاصا .. فالامر ليس مجرد انفعالات ، بل لا بد ان تتحول هذه الانفعالات والانطبات والرؤى والتجارب الى فن حقيقي.

السؤال الخامس :

ـ بوصفكم احد المتابعين الواعين للحركة الادبية في بلادنا ، ما فكرتكم الان عن مستوى القصة المصرية بالنسبة لمحاولات الرواد الاول ؟..

الاجابة :

ـ ارجو الا تعتبر كلامي هذا كلام ناقد خبير مطلع .. فان وقتي في اغلبه ينقضي في كتب ابعد ما تكون عن القصص .. ولكني لا انكر اني اطلعت على اكثر من قصاص من الجيل الذي يلينا .. ولذا فاني احب الاشارة الى شيء يجب ان نهتم به جدا ... لا تعتقد ان جيلا يربي جيلا .. وعندما يحاول جيل ان يتزعم الطريق الى المستقبل .. يبدأ خطأ .. الادب ينمو نمو النبات.. وينمو في الفرد الواحد .. يبدأ بسيطا .. وينمي عمله ثم ينميه ويصل الى اكثر مقدراته ..

والجيل الذي يلينا من كتاب القصة نشأ نفس نشأتنا .. لم يعتمدوا

صدر عن **دار الاتحاد**

الشيطان والاله الطيب

رائعة مسرحيات جان بول سارتر

ترجمة

غياث حجار

طباعة انيقة ورق فاخر

الثمن ثلاث ليرات

يطلب من جميع المكتبات في جميع الدول العربية

على الكتاب العربي فقط .. قرأوا موباسان ، وتشيكوف ، ودستويفسكي، وترجنيف .. ولكتاب انجليز وفرنسيين .. وهكذا .. وكتاب الجيل المعاصر ، من الواضح ان فيهم تقليدا لجيلنا والجيل الذي يلينا ..

فهناك اذن ثلاثة اجيال .. جيلان منها بعد جيلي .. والجيل الذي يلينا مباشرة على رأسه نجيب محفوظ ..

نشأته : ادب عربي ، ثم قراءات اجنبية ، ثم انفعالات وخيال وتجارب ، وقدرة فنية متمكنة ..

وليس للجيل السابق اي فضل على هذا الجيل ...

ولو نشأ جيل الشباب اليوم وكل زاده من الثقافة ، قراءات للحكيم وطه حسين ويحيي حقي ونجيب محفوظ وطاهر لاشين – فلن يكتبوا اعمالا خالدة ..

لا بد لهم ان يردوا المنابع الرئيسية ... ان يقفوا على النماذج الكبرى ، والتي ينبغي ان يعود اليها الجميع باستمرار .. وهي موجودة – لحسن الحظ – في كافة اركان المعمورة .. في الشرق والغرب ... في جنوب اوروبا وشمالها ..

السؤال السادس :

– كتبكم الثلاثة : سندباد الى الغرب .. سندباد عصري .. وحديث السندباد القديم .. شيء نادر في ادبنا العربي كله .. فهي من ادب الرحلات .. او كما يجب البعض ان يسميها : ادب اليوميات ..

ما تفسيركم لخلو ادبنا كله من هذا اللون من الانتاج ؟

ثم ما تقويمكم انتم لهذه الكتب الثلاثة ..؟

الاجابة :

– كلمة «ادب اليوميات» في الواقع «لقية» موفقة . هو نوع من ادب المذكرات ، والفرق ان كاتب المذكرات يخلو الى نفسه ، ويضع تفكيره في مذكرات خاصة .. فما بالك اذا كان كاتب هذه المذكرات يخلو الى نفسه ويضع تفكيره في مذكرات خاصة .. فما بالك اذا كان كاتب هذه المذكرات لم يعزل نفسه في حجرة مغلقة .. وانما طاف بالدنيا ، شرقا وغربا ، ودرس تاريخ امته ، ثم استدار كأديب ليكتب كتابه كمتخصص في العلم ..

عندما سافر توفيق الحكيم الى الغرب وكتب « عصفور من الشرق » كان الشرق يستدير امام ذهنه – وهو في الغرب – وكانت النقطة الوضاءة .. هي « الست ام هاشم » ..

وهكذا كانت هذه اللوحات والصور الغربية (التي سبق ان تحدثت عنها) تستقر امام عيني وانا متجه الى الشرق .. فكلانا اذن كان يرى الصورة المقابلة في المكان الذي يقصده ويتوجه اليه ..

السؤال السابع :

– لا شك انه شيء يثير الغرابة والدهشة : هذه الشخصية الفريدة المركبة ، التي تجمع بين العالم والاديب والموسيقى .. فلكل من هذه الجوانب : اسلوب في التصور ، ونظرة الى الحياة ، وطريقة في الرؤيا..

كيف تفسرون هذا الجمع بين موضوعية العالم وحرارة الاديب وارتعاشات الموسيقى ؟

الاجابة :

– المسألة كلها مسألة ظروف .. ولقد سبق ان قلت لك ان الانسان مسير لا مخير .. ولا تعتقد اني اتابع نشاط الثلاثة في وقت واحد .. شيء واحد صحبني منذ شبابي الباكر حتى الان هو الموسيقى .. والموسيقى عندي فضلا عن اهتمامي بها لذاتها فهي ايضا بمثابة النزهة بين عناء البحث والدرس العلمي ..

ولقد كتبت معظم كتبي في فترات كنت فيها مبعدا عن العمل بطريقة او باخرى .. اخرها الفترة التي كتبت فيها كتابي الاخير « سندباد مصري » والذي يضم جولات في رحاب التاريخ..

سؤال :

– الجمع المقصود هنا .. هو هذه النفس الواحدة التي تتفجر في لحظة عن احساس ادبي وفي اخرى عن احساس موسيقي ... وهكذا ...

اجابه :

كلها في الحقيقة شيء واحد .. لا تصدق ان العالم (هنا في مصر او في الخارج) مجرد عالم فقط .. فانا اعرف العديد من العلماء هم ادباء وفنانون من الطبقة الاولى ايضا .

والواقع ان الطريقة التي صورت بها رحلاتي في كل كتبي ليست فوتوغرافية ولكنها تحليلية ..

فكتاب « بسندباد الى الغرب » يضم انفعالات وتجارب صاحبت رحلاتي الى اوروبا .. وهي رحلات واقعية ..

وكتاب « حديث السندباد القديم » لا يضم رحلات في المكان ولكنه رحلة خيالية في الزمان والمكان على السواء بحثا عن شخصية السندباد ... « فانا اعود بخيالي الى المحيط الهندي لا كما عرفته منذ سنوات عدة ،بل كما عرفه البحريون العرب فيما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر .. قبل عصر الاكتشافات البحرية الكبرى ، التي بدأت بوصول « بارتولوميوديباز » الى رأس الاعاصير في الطرف الجنوبي من القارة الافريقية ، ثم باقتحام فاسكو دي جاما بحر الهند ، وتباشره بدورانه حول ذلك الرأس المفزع حتى اطلق عليه اسم رأس الامنية الطيبة ، او « رأس الرجاء الصالح » ..

دليلي وقائدي في رحلتي الخيالية ، ذلك الرحالة العظيم الذي اخرجته للناس مخيلة كاتب عربي مجهول – ربما كان مصريا – يعزى اليه جزء او كل من كتاب « الف ليلة وليلة » اوسع مؤلفات الادب العربي صيتا في الخافقين ..

والسندباد هو معلمي البحري الاول .. فانا اذ ارجع برحلتي الخيالية الى القرون الوسطى ، اعود بها ايضا الى طفولتي حينما عرفت البحر اول ما عرفت في قصة « السندباد البحري » وكتاب « عجائب الهند » المنسوب الى « بزرك بن شهريار الناخداه الرامهرمزي » .

وكتاب « سندباد عصري » صفحات ضمنتها صورا وخطرات اوحت الي بها جولاتي في انحاء المحيط الهندي وحياتي على ظهر تلك السفينة العلمية المجيدة التي قطعت ٢٢٠٠٠ ميل في طول المحيط الهندي وعرضه ..

وعدت من رحلتي الى الشرق وقد استحال الحب والاعجاب بحضارة الغرب ايمانا بكل ما هو غربي..

سؤال :

ان هذا يذكرنا بكتاب توفيق الحكيم « عصفور من الشرق » ؟..

اجابة :

بالفعل – هو الصورة العكسية .. ففي نفس الوقت الذي كنت انادي فيه بحضارة الغرب... (وصداقتي للحكيم ايضا تمتد الى ٤٠ سنة تقريبا ...) كان توفيق الحكيم يصدر كتابه : « الى حاميتي الطاهرة الست ام هاشم » ...

فتوفيق الحكيم يحكي حيرته في الغرب واتجاهه نحو الشرق ..

سؤال :

وهي الفترة التي كتب فيها يحيى حقي « قنديل ام هاشم » ..

اجابة :

فعلا .. نفس الفترة .. شيء غريب !

المهم .. انه لا خصومة بين العلم ، والفن او الادب .. فالدكتور

مشرفه اكبر عالم مصري في تاريخنا ـ بالاضافة الى انه عالم رياضي كبير ، كان موسيقيا متابعا . واديبا من الطبقة الاولى ..

وقد لاحظت نفس الظاهرة في اوروبا .. كل استاذ في العلوم له متابعات في الوان وقضايا اخرى ..

السؤال الثامن :

ـ من القضايا الخطيرة التي شغلت البال في مجتمعنا طويلا قضية الفن للفن .. والفن الملتزم ..

وقد تشعبت هذه القضية الى قضايا عدة ، تتناول موقف الفنان من الحياة عموما ، ومن مجتمعه بصفة خاصة ، كما تحاول ان تعطي للالتزام اكثر من معنى واكثر من تفسير ..

ما موقفكم انتم ؟؟

الاجابة :

ـ ان المناقشات بهذه الصورة ، وعلى هذا المستوى ، تخلق فوارق غير موجودة في الاصل ..

خذ مثلا .. ما يدور الان من صراع بين جمعيتي النقاد عندنا .. ان المجموعتين اعرفهما حق المعرفة ، وتحدثت معهما بالصدفة ، والواقع انه لا خلاف بينهما ... الفريقان نقاد من الطبقة الاولى ، والنقد عند كل منهما يستوي بالفعل على اصوله وقواعده .. لكن كلمة الالتزام هذه .. هي التي يمكن ان تثير حولها الجدل .

وانا اسالك : ما هو العمل الفني ؟..

انه تعبير عن الفنان يصاغ صياغة فنية معينة ..

فالشكل في الفن مهم .. كما ان الموضوع في الفن مهم ..

والقائلون بالالتزام يؤكدون ضرورة ان يكون لموضوع الفن علاقة بمجريات الحوادث .. فليكن .. ولكن اهم شيء ان يكون فنا .. وفرق كبير بين من يملأ اذاننا صراخا بالحديث عن بطولة بور سعيد وكفاحها المجيد مثلا .. هذا مهم جدا بالطبع ولكنه ليس فنا ـ فرق بينه وبين من يتناول نفس الحدث فيحوله الى قصة او مسرحية بالمعنى الفني الناضج .. وطبقا للمقاييس الفنية السليمة .. بحيث تتمثل في هذا العمل فنية الاسلوب والشكل وطريقة السرد القصصي ووضوح الشخصيات ..

وهل هناك ادب ليست له علاقة بالحياة ؟..

انه ان لم تكن له علاقة بمجريات الحوادث فله علاقة بالانسان ، والانسان اخلد من الحوادث .. فالاديب الذي يتحدث عن الانسان اديب ملتزم ..

والمهم ان يكتب الاديب منفعلا بما حوله ، ولكن شرط الا يصبح داعية او خطيبا ..

خذ مثلا شكسبير .. انه في« رواياته » المعروفة : تراجيدياته وكوميدياته وتاريخياته يجمع بين النوعين ..

وقد كنا في القديم لا نحتفي بتاريخيات شكسبير ونعتقد انها مجرد دعاية لتاريخ البريطاني .. ولكن قيمتها ترتفع تماما الى مستوى اعظم اعماله واخلدها .. فاعماله التاريخية ملتزمة ... باعتبار ان له رايا في كتابة تاريخ انجلترا قبل اليزابيث ..

ولا بد لنا من الاعتراف بعظمة انتاج شكسبير في نوعيه ..

السؤال التاسع

اتيح لكم بفضل قراءاتكم واسفاركم الواسعة ان تتعرفوا على عديد من الاداب العالمية .

ما رأيكم في وضعية ادبنا العربي المعاصر بين هذه الاداب ؟

وهل تحسون ان فيه من النماذج ما قد يكون عالميا بالفعل ؟

الاجابة :

نعم .. بلا تردد ..

اعتقد ان ادبنا الراهن ادب متقدم .. وهذا الاستعمار الذي يتمثل في توره وانفعالاته وثوراته وعنفه وهجوم الادباء احيانا على الاسلوب ، وحينا على اللغة .. كل ذلك يدل على ان ادبنا بدأ يتحرك الى العالمية ..

والذي يعطل ادبنا عن قراءته في الغرب ، هو اهمالنا لترجمته ، وتركها للصدفة ومهارة المؤلف وصلاته الخاصة في الحصول على مترجمين لانتاجه ..

والمشكلة اساسا تتمثل في العثور على مترجمين يجيدون العربية واللغات الاجنبية ، فاهتماماتنا تقف دائما عند حدود المترجم الذي يعرف لغتين .. بينما قد لا يكون له اسلوب في لغته الاصلية او في اللغة التي يترجم عنها ..

فالمهم هو نقل روح لا حرفيته ومفرداته ..

سؤال :

عندما نتحدث عن العالمية فانما نقصد مجموعة من الخصائص والسمات اذا ما توافرت في ادب ما حكمنا بانه عالمي ..

اجابة :

من سمات العالمية ان يكون الادب متجردا من الخصائص « الالتزامية» اولا .. الا يكون ملتزما .. فاذا قصد مجرد الالتزام لا يكون فنا ..

سؤال :

ان كثيرا من الباحثين المعاصرين يعارضون هذا الراي .. بل ويذهبون الى ابعد من ذلك .. وشرط الادب العالمي عندهم ان يكون اولا قوميا ناضجا .. فلا مفر في رأيهم من الالتزام ..

اجابة :

المهم ان يكون الفن صادقا .. وان يكون تصويره للحياة تصويرا صادقا واصيلا .. مثلا : « نائب في الارياف » انه في رايي اعظم كتب الحكيم واكثرها قربا من المستوى العالمي .. بل انه ـ بعد ترجمته ـ يقف الى جانب اعمال العمالقة من امثال تورجنيف وجوجول ودستويفسكي .. وغيرهم .. وقد لمست بنفسي الى اي مدى يقدرون هذا الكتاب في الغرب . ويعتبرونه نموذجا رفيعا للادب المصري المعاصر ..

وليس هذا هو المثل الوحيد .. فانتاج نجيب محفوظ ايضا يرتفع الى هذا المستوى لولا شيء من التطويل الذي لا بد ان يتحمله القارىء كما يتحمل « بروست » .. ولو لا التفاصيل العديدة التي تزخر بها كتابته والتي تفقد القارىء احيانا حماس المتابعة ..

وانا لا احب للاجيال ان تعترف لبعضها البعض .. فانا عصامي ، واحب للاجيال ايضا ان يكون كل منها عصاميا .. يبني نفسه بنفسه، ويتخذ طريقه دون انتظار للنصيحة او حتى للتقدير .. ولست احب للاباء ان يتفضلوا على الابناء .. ولا للابناء ان ينكروا او يتنكروا للفضل ..

السؤال العاشر :

اسمح لنا بالانتقال الى السندباد الموسيقى ..

مكتبة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريق الشام

صاحبها : حسن شعيب

من الواضح انكم من اعمق دارسينا فهما للموسيقى الغربية بالوانها .. وكتابكم « الموسيقى السيمفونية » خير دليل الى معايشة هذا الموسيقى ، والولوج اليها .. على ضوء هذه الحقيقة .. ما تقويمكم لموسيقانا الراهنة ؟

وما حكمكم على مستقبلها ؟

الاجابة :

لي امل واحد في موسيقانا الراهنة .. هو ان هناك معهداً يتعلم فيه الناس الموسيقى ـ كنت من اشد الداعين اليه والحريصين على تشييده ـ تماما كما يتعلمون فنون الحرب والبحرية والهندسة وغيرها ..

فارجو ان يكون المعهد جديا ، ودراسته جدية .. ولحسن الحظ ان المصري ـ بطبعه ـ من اقدر الناس على الاحساس والتذوق الموسيقى .. وقد تاكدت من هذه الملحوظة باتصالي بالاجانب ، فقد كان يلاحظون باستمرار ـ في افراد الشعب ـ قدرة على متابعة الايقاع ..

فالقدرة الطبيعية متوفرة ، وانما كان ينقصنا التعليم . ولا يضايقني شيء حتى اليوم قدر ما يسمى بالهواية ..

ان موسيقيينا لا يعطوني ابدا فكرة الرجل المتمكن في فنه ، الدارس له ، ولكن كلهم ارتجال ، صاروا هكذا بالحظ ، او بالصدفة . ولكني ارى قدرات تعبيرية على اساس تعليمي ، والفنون لا تتحمل هذا الارتجال ـ الذي قد تتحمله جوانب اخرى من الحياة ـ لمدة طويلة .

وحتى تكون موسيقيا .. حتى تبدأ فقط مجرد بداية .. لن تكفيك ثمانية اعوام ولا تسعة .. اما الذين ياخذونها هكذا « بالعافية » .. فليسوا موسيقيين ولكنهم « مساقرة » كما سماهم احد الصحفيين يوما ما ..

السؤال الحادي عشر :

بمناسبة حديثنا عن الموسيقى .. يقول البعض ان وراء كثير من الاعمال الادبية او الفكرية بصفة عامة موسيقى عظيمة ..

الى اي حد تاثرت كاديب من دراستك للموسيقى ؟

الاجابة :

الموسيقى ايقاع ولحن .. فاذا انتقلنا الى الادب وجدنا ان ما يمكن اخذه عن الموسيقى هو الايقاع .. ايقاع الجملة ...

وقد تصادف انه بعد ظهور كتابي الاول ، قال عنه احد النقاد : ان جملته لها موسيقى خاصة ..

وانا لا ادعي انني كاتب شعر .. (لقد كتبت بالفعل شعرا في مستهل حياتي .. وشعرا منثورا) ..

الشيء الثاني الذي ياخذه الادب عن الموسيقى هو الشكل ... فالموسيقى بناء ، مثل العمارة ، تنتظمها وحدة هي ما يعرف بال theme .. وفي الموسيقى المتطورة والناضجة لا ضرورة لوجود « سيمترية » .

ولقد تمرست طويلا بفن الشكل نتيجة لدراستي الموسيقية ، ولو ان كتبي مثلا يبدو عليها انها يمكن ان تقرأ من اولها او من اخرها .. لكنها في الواقع كالشجرة .. فكرة رئيسية وفروع .. وهناك وحدة رئيسية وجوهرية تدور عليها الفصول والابواب ..

وحياتي في الموسيقى يمكن ان تعود الى اربعين عاما مضت او تزيد ..

ولهذا فمن المؤكد ان للموسيقى اثرا في تكويني الفني والادبي ..

القاهرة — فاروق شوشة

انتظار ...

متى تجيء ايها الصديق
في غيمة خضراء تفرش الطريق بالربيع
بنظرة اليفة تذوب الصقيع
تجيء تشعل النجوم في مسائنا الكئيب
وتمسح الغبار عن رفوفنا وتسكب الحياة في الشتاء

***

متى تفك ايها الصديق قيدك العتيق
فنحن ها هنا مجامر انتظار ترقب الطريق
وتسأل الطيور عنك والمسافرين
لعل خطوك اقترب
فنحن ها هنا طيوف في مسابح الحنين

***

متى تجيء ايها الصديق
يا من تطوف في خواطر الجميع
ويرقب الصغار والكبار وجهك الوديع
وكفك التي تفيض بالحياة في مغاور الملل

***

العمر كاد ان يودع الدروب
وانت لم تزل تجول في مخابيء الغيوب
الست تعرف الطريق للبشر
الم تعان وحشة الضياع في غياهب الغرور

***

متى تجيء ايها الصديق
وما عرفت اسمك الحبيب لم أرك
وما عرفت اين ظلك الطري يستريح
من اي درب سوف تاتي مقلتاك
ولم ازل الوك عمري اطعم الجراح لحظة انتظار
لعل في نهاية السفوح بيرق الغبار
لعل وجهك الوضيء خلف حائط النهار
متى تجيء ايها الصديق
متى تجيء

حماه — ماجد حكواتي